وزارة الإعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
سلسلة ثقافة الشباب
(٨)

التطوع والعطاء

للشيخ/ منصور الرفاعى محمد عبيد
الوكيل الأسبق لوزارة الأوقاف

مهرجان القراءة للجميع
صيف ٢٠٠٦م
رقم الإيداع : ٢٠٠٦/١٥٣٩٥م
الترقيم الدولي : ١-١١٣-٢٣٤-٩٧٧

التطـوع

التطوع : هو بذل جهد إرادي قائم على مهارة ، أو خبرة معينة ، عن رغبة واختيار بغرض أداء واجب اجتماعي تطوعي خدمي له عائد في تنمية المهارات لدى الأفراد ، ويتم ذلك دون انتظار أي مقابل لأن الشخص الذي يفعل الخير ، متطوعاً ، إنما هو إبراز للصورة الجميلة للوجه الإنساني الذي يفيض بالخير لله والوطن ويدعم العلاقات الاجتماعية ، ويؤكد على التعاون فى سبيل الخدمة العامة التى تتسع مفرداتها لكل مناحى الحياة ، ولها مجالات متعددة ، خاصة فى مهارات تنمية المواطنين حرفياً أو مهنياً أو ثقافياً ، فالذى لديه صنعة يعلم غيره والمتعلم يعلم الأمى ، والقوى يساعد الضعيف والغنى يأخذ بيد الفقير ، والعمل على زراعة الأشجار على جانبي الطريق وأمام المنازل ، وردم البرك والمستنقعات ، وفتح أبواب العمل أمام العاطلين وتحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة إلى غير ذلك من أوجه الخير ، كل ذلك من باب التطوع لفعل الخير الذى هو عمل إنساني بالغ الرقى ويفعل الشخص ما يقدر عليه طواعية دون انتظار أى عائد له ، حيث إن بداخل الإنسان رغبة تحركها مؤثرات دينية إنسانية النزعة لفعل الخير (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)(الروم: من الآية٣٠) ثم إن لسان حال المتطوع يردد ، إنما نبذل ما نبذل ، ونقدم ما نقدم ابتغاء وجه الله الذى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وخدمة للوطن الذى نشأنا على أرضه ورعانا بحنانه وأضفى علينا من خيره ولم يضن علينا بأي شىء فأصبح يعيش فى قلوبنا وأعماق نفوسنا . وعملنا هو شكر الله صاحب الفضل علينا والتوفيق ، وترجمة لانتمائنا إلى الإسلام ،وحبنا للوطن .

العمل التطوعى
فى مصر

عرفت مصر العمل التطوعى منذ بدء الحضارة التى ظهرت على أرضها ، وقد عرفنا ذلك من خلال الأعمال المنقوشة على جدران المعابد ، فقد كان الشخص يتطوع من تلقاء نفسه لمدة «ساعة» فى كل يوم لأداء أى عمل اجتماعي له عائد خدمى لأى مواطن فى حاجة إلى أداء هذه الخدمة ، ولما دخلت المسيحية مصر تبنت الدعوة إلى عمل الخير وحثت عليه فمن تعاليمها «من كان معه رغيف خبز فليعط جاره نصفه ومن كان له ثوبان فليعط من ليس له ثوب » ورغبت الناس فى الوقف ليكون عائده لعمل الخير وإنشاء المؤسسات الدينية،

وفتح مجال عمل الخير أمام من يمد يده مع الدعوة لتحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة لصالح الوطن والمواطنين ، ويتبين لنا أن عمل الخير جهد بشرى من صنع الإنسان وهو إما عمل فردى ، أو عمل جماعى ، وهذا العمل يستحب أن يكون منظماً وتحت مظلة شرعية من الدستور والقوانين واللوائح المنظمة لمثل هذا العمل ولذلك رؤى إنشاء وزارة الشئون الاجتماعية لتخطط وتضع الضوابط التى تنظم عمل الجمعيات الخيرية والنقابات والمؤسسات والهيئات التى تشرف عليها ، ويكون العمل التطوعى نابعاً من القلب بدافع عن رغبة ذاتية ، دون إجبار من أحد ومن يفعل الخير لا ينتظر منه أى عائد مالى أو أدبى لنفسه أو منفعة شخصية تعود عليه ، وإنما أجره على الله الذى يكافىء من يفعل الخير فهو سبحانه القائل ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: من الآية٧٧) والشاعر العربى يقول:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

ويقول الإمام على رضى الله عنه :

ازرع جميلاً ولو فى غير موضعه   فلن يضيع جميل أينما زرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به   فليس يحصده إلا الذى زرعا

العرب
والعمل التطوعى

كان العرب يسكنون الجزيرة العربية ، وكانت هادئة عن غيرها من البلاد المجاورة لها فلقد كانت الجزيرة العربية منعزلة عن الاضطرابات التى تسود العالم

ومن هنا كانت طبائع العرب أشبه ما تكون بالمادة الخام تتراءى فيها الفطرة الإنسانية النظيفة والاتجاهات القوية إلى الأخلاق النبيلة الحميدة ، كالوفاء بالوعد والعهد والكرم لأن العرب كانوا يتمتعون بحرية لم يتمتع بمثلها أحد من البلاد المجاورة ، لهذا كان العربى يعشق الحرية ، يذود عنها ويموت من أجلها ويردد :

ماء الحياة بذلة كجهنم   وجهنم بالعز أطيب منزلا

كما أن الكرم كان خلقاً أصيلاً فيهم ، وكان الواحد منهم يجود بما فى يده ولا يبخل لأن البخل صفة ذميمة جداً ولذلك قالوا عن بعضهم :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويقول الآخر :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وكان العربى يحمى جاره ، ويرعى حقه ويحافظ على حرمته حتى قال أحدهم :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

إن المنطقة العربية سجل التاريخ عنها بأن سكانها من الرواد الأوائل للنشاط الاجتماعي التطوعى، فقد ثبت أنهم كانوا يمدون يد المساعدة إلى أى إنسان عند الشدائد أو حلول الأزمات، وكانت لهم على مدى التاريخ قيم اجتماعية لمواجهة الأزمات الحياتية لهذا أنشأوا «السقاية» وهى تقديم الماء للحجاج الوافدين إلى البيت الحرام للحج أو العمرة كذلك كانوا يحفرون أماكن فى الصحراء يجهزونها ويعدونها ويملؤوها بالماء ليشرب الذى يمر بالمنطقة ويحتاج إلى هذه الخدمة - إلى جوار ذلك أقاموا «التكايا» وهى عبارة عن أبنية يأوى إليها الإنسان وبجوارها مكان لإيواء المطايا «وهى وسائل المواصلات فى زمانهم» ، ويقدم للإنسان وحيوانه الطعام والشراب وكانت التكايا للفقراء والشخصيات المتوسطة الحال فى المجتمع ثم أنشأوا «المضيفة» وهى مكان لينزل فيه مشايخ القبائل أو التجار وغير هؤلاء من الشخصيات التى لها منزلة إجتماعية ، علاوة على أنهم أنشأوا البيمارستان «المستشفى» وهو مكان يقدم العلاج إلي من يحتاج لهذه الخدمة... ونظراً لأن المنطقة العربية بها جبال عالية تحجب هذه المبانى عن كثير ممن يمرون بهذه المنطقة ويحتاجون إلى هذه الخدمة ، ابتكر العرب أساليب ترشد الغريب الذى يحتاج إلى أى مساعدة خاصة فى الليل ، ومن أساليبهم فى الإرشاد :

١ - إشعال النار - خاصة فى الليل - فكانوا يوقدون النار ويكلفون أحد العمال بالوقوف أمامها لتغذيتها بالأخشاب حتى لا تطفأ طوال الليل .

٢ - وإمعاناً منهم فى التعريف بمكان النار كانوا يغذونها بأخشاب لها رائحة طيبة فتنتشر فى الوادى ويجيء الناس من كل مكان يتتبعون الرائحة الطيبة إلى أن يصلوا إلى مكان النار وهناك يجدون الدليل الذى يرشدهم إلى ما يطلبون .

٣ - وكانت العرب تسمى الكلب ، داعى الضيف ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الأضياف ، فإذا اشتد البرد وهبت الريح فأطفأت النار قاموا بربط الكلاب فى أماكن متفرقة وفى الجهات الأربع وعلى النواصى ومنافذ الطرق فتنبح الكلاب فتهدى الضال وتأتى الأضياف على نباح الكلاب .

٤- ولم يكتف العرب بذلك، بل كانت لهم مجالس للصلح بين المتخاصمين والتوفيق بين الناس وكانت هذه المجالس تسمى «مجالس العشائر».

حلف الفضول

مكة بلد العرب ، وحرم الله الآمن ، من دخلها كان آمناً ولهذا قال الله عنها (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَيُتخطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ)(العنكبوت: من الآية٦٧)، ولقد استقر بها الأمن وأصبحت بلد السلام والأمان ، فيها تتم المحافظة على الحقوق ولا كون فيها الاعتداء على أى إنسان حتى ولو كان عدواً لمن يلقاه فيها لأن الناس يحجون إليها ويعتمرون من كل بلد ، ومن كل فج عميق ، إذاً فلا بد أن يتعاون أهلها على جعلها مكاناً تقدس فيه الحقوق كما يقدس البيت العتيق الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا للأرواح والأبدان والأموال والأعراض لهذا أنشأ العرب أول جمعية خيرية عرفتها الإنسانية ليكون العمل التطوعى من خلالها وهذه الجمعية كانت تسمى فى أول نشأتها «حلف الفضول» وسبب تكوين هذا الحلف أن رجلاً من زبيد . قبيلة كبيرة ، جاء إلى مكة ببضاعة ليبيعها ، فاشتراها العاص بن وائل ، وهو شخصية كبيرة من أهل مكة وبدأ يتهرب ويماطل ولم يدفع الثمن ، فبدأ الرجل يطلب من الناس أن يعينوه ليأخذ حقه من هذا الرجل الظالم ، لكن الناس تخاذلوا وخاف الرجل أن يضيع ماله حيث بدا القعود فيمن استعان بهم من أهل مكة فما كان من الرجل إلا أن صعد على جبل أبى قبيس فى لحظة كان أهل مكة فى ناديهم ، ونادى الرجل بأعلى صوته وأنشد يقول :

يـاآل فهــر لمظلــوم بضــاعتـه ... ببطن مكة نائـى الدار والنفــر

ومحـرم أشعث لـم يقض عمرتـه ... ياللرجـال وبيـن الحِجْـر والحَجَـر

إن الحــــرام لمن تمــت كرامتـه ... ولا حـرام لثـوب الفـــاجـر الغــدر

إن الرجل يذكر الظلم الواقع عليه ، وهو بجوار البيت المقدس لأرض الله الحرام وهذه الأرض لا تضيـع فـيـهـا الحقـوق ولا تـنـتـهب الأمـوال ، وهـو مـقـيـم بين حـجـر إسـمـاعـيل، والحجرالأسود وهو مُحرِمٌ بعمرة ، فهب رجال لنجدته يتقدمهم الزبير بن عبد المطلب وبعض زعماء قريش ، لإغاثته ، وكان هؤلاء يمثلون بنى هاشم ،وزهرة وغيرها من سادات قريش ، واجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان وهو من الشخصيات النبيلة الكريمة وقد شارك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الاجتماع ، وكان سنه يقترب من العشرين، وكان هذا الاجتماع بمثابة الجمعية العمومية ، وقد سمى هذا بحلف الفضول لأن المشاركين فيـه دخـلـوا فـى فضل من الأمـر وتعـاهـدوا عـلـى أن يكونوا يداً واحدة متطوعين للعمل الاجتماعي والتزموا به : من ذلك :

- نصرة ، المظلوم ، والأخذ على يد الظالم ...
- وإيواء الغريب . وإطعام الجائع ، وكسوة العارى ...

ولقد شارك النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الرسالة فى تأسيس هذا الحلف وتطوع لتنفيذ بنوده وفرح النبى صلى الله عليه وسلم باشتراكه وتطوعه فى هذا العمل الاجتماعي وأعلن بعد أن مضى من عمره أكثر من ستين عاماً أنه ينفذه فى الإسلام لو دعى إليه ، وكان لهذا الحلف أثر فى المجتمع وكان الناس يلجأون إليه فى حل مشاكلهم وقضاء مصالحهم وإزالة الخلاف من بينهم ، ولهذا قال الزبير بن عبد المطلب وهو يعتز بهذا الحلف:

إن الفضـول تعاقـدوا وتحالفـوا — أن لا يقيـم ببطـن مكـة ظالـم

أمـر عــليـه تعاقـدوا وتوافقـوا — فالجـار والمعتـر فيهـــم ســالـم

إن أصحاب الفضل هم الذين يساعدون غيرهم ، سواء كانت المساعدة ، مالية أو أدبية أو خدمية ، والإنسان لا يستهين بأى مساعدة يقدمها للغير ، المهم أن يكون الشخص لديه قناعة على أن يجعل ساعة كل يوم يقدم فيها ما يقدر عليه من خدمة لغيره ومساهمة فى عمل اجتماعي له عائد خدمى اجتماعي ولا يطلب أجراً على ذلك وإنما يفعل ذلك لله وللوطن وخدمة للمواطنين .

الإسـلام
والعـمـل التـطـوعـى

الإسلام الذى نؤمن به ، عقيدة ، وعمل ، لا يقر السلبية فى حياة أى شخص ولا يرضى أن تكون خلقاً لأى إنسان ، لذلك فإن الإسلام حث على العمل ورغب فيه ، وقال لكل مسلم (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة:١٠)

والمسلم وهو مطالب بالسعى والتحرك فى المجتمع معه فضائله وأخلاقه ، عنده أمل ممتد فى الحياة وثقة برب كريم ، وثقه بنفسه ، يعيش وهو دائم العمل بدقة ومهارة ، يخطط، وينظم ، ويبتكر فى أساليب الأداء ، يواظب على صلاته لأن صلته بربه تنمى فيه فضائله ، وتهذب أخلاقه ، وتصحح مساره ، وتجعله يبتعد عن الفحشاء والمنكر ، ومع ذلك فإن الغنى والمنصب لا يغيران من صفاته ، ولا يجعله يتعالى على غيره ، ولا تهتز أخلاقه لأن الإيمان يجعله ينتظر الثواب من الله الذى يحقق له السعادة فى الحياة ويرزقه من حيث لا يحتسب فهو يثق بالله القائل (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً) (طه:١١٢) ، وقول الحق (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) (الطلاق٢ :٣) ، والمسلم عندما تعترضه المشاكل لا تغير من أخلاقه ولا يهتز الإيمان فى نفسه ، وإنما يتغلب

على حل المشاكل بالصبر . والاستعانة بالله وأمام عينه قول الله سبحانه (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة١٥٥ :١٥٧)

والمهنة فى نظر الإسلام وهو يدعو إلى العمل دافعه إلى ذلك أن اللقمة التى يأكلها الإنسان بلذة هى التى يحصل عليها من عرق جبينه وتعب جسمه ، وإلى هذا أشار الرسول صلى الله عليه وسلم «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري ..

ولهذا نهى عن التسول ومد يد الإنسان إلى غيره يستجديه لأن السائل يأخذ من الناس ناراً حامية وحجمًا وسعيراً فالسائل يأخذ ذنوب المعطى ، والمعطى يأخذ من حسنات السائل لهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «من سأل الناس عن ظهر غنى استكثر بها من رغف جهنم قالوا وما ظهر الغنى؟ قال : عشاء ليلة» رواه ابن حيان ، إن السؤال ذل للنفس وهو أن لها لذلك فإن المسلم عنده ورع فهو يتجنب السؤال الذى يريق الشخص فيه ماء وجهه، والمسلم يتحلى بالمروءة والشرف وعزة النفس ، فلقد رباه النبى صلى الله عليه وسلم على العفة والقناعة والرضا والاعتماد على النفس ، وإن ضاق عليه الرزق صبر وارتحل من مكان وأخذ فى الأسباب وهو يردد:

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد   عسى نكبات الدهر عنك تزول

إن معلم الإنسانية ومربى البشرية كان يوجه الناس إلى العمل ويحثهم عليه لأن العمل شرف وعزة وكرامة وينهى عن التسول ومد الأيدى إلى الغير ، فلقد جاء رجل من الأنصار يسأل النبى صلى الله عليه وسلم (فنظر إليه فوجده صحيح الجسم سليم الحواس قوى البنية) فسأله النبى صلى الله عليه وسلم أما فى بيتك شىء؟ قال الرجل. بلى، عندى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، «وهذا شىء يشبه الكليم أو البطانية» وقعب نشرب فيه الماء «شىء يشبه القلة، أو الشفشق» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ائتني بهما» فآتاه بهما وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مزاد علنى سمعت به الدنيا وأمسك الرسول صلى الله عليه وسلم الحلس والقعب وقال من يشترى هذين؟ قال رجل، أنا آخذهما بدرهم.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم، مرتين أو ثلاثًا، قال رجل آخر أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصارى وقال له ، اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فأتني به ، فآتاه به فشد

فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوذا بيده، ثم قال له، اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يومًا، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً وبعضها طعاماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفظع، أو لذى دم موجع» رواه الترمذي وأبوداود .. إن الإسلام وقد حث على العمل ورغب فيه.. نبهنا الله إلى الاعتدال فى كل شىء ، فى الأكل والشرب فقال لنا :(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأعراف: من الآية٣١)، والإسلام وهو يأمرك بالاعتدال يقول لا تكن مسرفاً ، ولا تكن بخيلاً ، فينبهنا القرآن إلى ذلك ويقول الله لنا: (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)(الإسراء:٢٩)

إن الله سبحانه أباح لك أن تتخذ من الزينة ما تشاء وأن تأكل من الطيبات كما تريد . وأن تلبس وتتزين بما يحلو لك بشرط أن يكون مصدر الأشياء من حلال . وقد أديت حق الله فيها من إخرج الزكاة وصقة التطوع ، ولهذا قال الله سبحانه : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأعراف:٣٢)

إن الإيمان بالله والاعتراف برسله جميعًا ، إذا صح ذلك، اعترف الإنسان بربه خالقًا رازقاً قادرًا عليمًا بكل شىء ، هذا الإله الذى وهب الشخص كل شىء طالبه بأن يشكره لأنه بالشكر تدوم النعم ، ومن شكر الذى رزقه ووهبه الحياة نبهه إلى أن يؤدى ما عليه وهى ، أن يساعد غيره ، قد تكون المساعدة بالمال ، قد تكون المساعدة بالجاه ، والمنصب ، والمعاونة لمن يحتاج منه إلى أي مساعدة ، وأن يفعل ذلك بعد أن يقوم بأداء الفرائض التى افترضها الله عليه ، وبعد أن يقوم الفرد بأداء ما عليه من الواجبات والأعمال المكلف بها يتطوع والإسلام يغرس فى نفوس أتباعه حب التطوع لأنه قمة العطاء ودليل على أن نفسية المتطوع سخية وكريمة وطيبة ، وهو فى نفسه صالح ولأنه يحب أن يساهم بفعل الخير ويحب للناس ما يحب لنفسه ، وهذا قمة الإيمان الصادق الذى ينجى صاحبه من المهالك ويرقى بالمتطوع فى سلم الرقى والتقدم والنجاح والفلاح مع حب الله له وثناء الناس عليه بالخير والدعاء له بصلاح الحال وهدوء البال . والله يبارك له فى صحته ، ويمنحه التوفيق فى حياته ، ويبارك له فى ذريته التى تكون له قرة عين لهذا فإن الشخص الذى تطوع فى العمل الاجتماعي وأسهم فى فعل الخير الذى قال الله لنا عنه: (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج: من الآية٧٧) ، يشعر بسعادة فى الدنيا مع هدوء النفس وراحة البال . وفى الآخرة ثواب عظيم ومكانة عالية فى جنة الخلد ، برفقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

العطـاء

هو التبرع ببعض الوقت وبعض الجهد والعمل والفكر والمال والبذل والسخاء من شخص يفعل ذلك فى سبيل الله لراحة الناس والتيسير عليهم وخدمة الوطن فكل الأعمال التى يعملها الشخص ولها عائد نفعى يسهم فيها ويشارك فى أدائها من تلقاء نفسه ودون انتظار مقابل هو عطاء وتطوع : وهذا العطاء والتطوع نوه الإسلام به وبين أن له ثواباً عظيماً وأجراً كبيراً .

والنوافل هى التطوع ، فالتطوع فى الصلاة هى صلاة النوافل والسنن والتطوع فى الصيام كصيام ستة أيام من شهر شوال وصيام الاثنين والخميس من كل أسبوع وكصيام يوم عرفة والعاشر من محرم وصيام الأيام البيض ، والتطوع فى الزكاة كصدقة التطوع وكفالة يتيم ، وكسوة عار ، وتقديم علاج لمريض ، وحفر بئر ماء أو وضع ثلاجة مياه فى مكان يحتاج إلى مثل هذه الخدمة ، وغرس شجرة فى مكان يحتاج للظل إلى غير ذلك من الخدمات التى يقدمها الفرد لأي محتاج ، والتطوع فى الحج والعمرة يؤديهما الإنسان مرة ثانية أو ثالثة أو ما يشاء الله له ، هذا والرسول صلى الله عليه وسلم يقول «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلم فى الدنيا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» رواه مسلم ، ويشير الحديث إلى أن من فرج هما عن أخيه وسهل له الأمور ويسر عليه وقضى مصالحه ن بما له أو جاهه ، أو وقته وساعده ، وبادر إلى إغاثته كذلك من يساعد العاطلين بإقامة مشاغل لهم وتشغيلهم فالثواب عظيم جداً لذلك سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أي العمل أفضل؟ قال : إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعه ، أو كسوت عورته ، أو قضيت له حاجة) رواه الطبراني..

أوجه التطوع

باب التطوع والعطاء مفتوحان أمام كل شخص الذكر والأنثى الصغير والكبير ، وكل شخص عليه أن يقوم بما يقدر عليه مثل :

١ - المتعلم يعلم غيره ز بأن يتطوع بساعة واحدة فى اليوم ويخصص هذه الساعة ليعلم غيره ، فالمدرس يقيم فصلاً لمحو الأمية ، أو يفتح فصلاً لتقوية الطلبة فى مادة دراسته أو أن يقوم صاحب المهنة ويعلم غيره صنعته ، ومهنته ، وساعة واحدة تخصصها لله تتطوع بها، لتعليم غيرك سيعطيك الله أكثر مما سوف يعطيك الناس الذين يتعلمون منك وجرب هذا وسوف ترى الخير العظيم الذى سوف يأتيك من حيث لا تشعر واقرأ نص ما قاله الله

سبحانه :(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الأعراف: من الآية٩٦) ، ثم أنه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس كان الأشعريون لا يعلمون بعضهم ولا يتعلمون من بعضهم فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس وأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال ، ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم أو لأعالجنهم بالعقوبة ، وبلغ الأشعرين ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أنهم المعنيون بقوله فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ذكرت أقواماً بخير وذكرتنا بشر فما لنا ؟ ، فقالوا يارسول الله صلى الله عليه وسلم أنفطن غيرنا ؟ فأعاد قوله عليهم ، وأعادوا قولهم ، أنفطن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضا ، فقالوا أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة يفقهونهم ويعلمونهم ويعظونهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (المائدة٧٨ :٧٩)

هذا هو الإسلام دين العلم والتعليم لأن أول آية نزلت من القرآن الكريم تحث على القراءة وتعلم الكتابة بالقلم فهل يعلم المسلمون ذلك ويهتمون بنشر العلم والمعرفة وتعميم الثقافة والقراءة والكتابة ، لأنه من العيب أن نكون نحن أمة العلم والتعليم وعندنا هذه الأعداد الهائلة من الأميين ، بينما المتعلمون لا يعلمونهم فماذا يقول هؤلاء لربهم ونبيهم يوم القيامة ؟

٢ - نظافة البيئة التى يسكن فيها الإنسان وتحيط ببيته وفى جنباتها يتحرك والنظافة من الإيمان ، لأنها سلوك دينى ومظهر حضارى وقد أمرنا الله أن لا نفسد فى الأرض ونلوثها برمى الفضلات على جانبى الطريق لأن ذلك يؤدى إلى انتشار الذباب والبعوض والناموس وكلها أشياء ضارة جالبة لكثير من المرض وانتشاره بين الكبار والصغار ، لهذا قال الله : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)(الأعراف: من الآية٣١) الزينة هى النظافة فى الملبس والجسم ولا يتفق أبداً لأن تكون الملابس نظيفة والبيئة التى يمشى عليها الإنسان متوجهاً إلى المسجد وعمله مليئة بالقذارة والزبالة والفضلات لأن هذا إفساد فى الأرض وقد قال الله تعالى : (وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)(البقرة من الآية ٦٠ ، والأعراف: من الآية٧٤ ، وهود من الآية ٨٥ ، والشعراء من الآية ٢٨٣ ، والعنكبوت من الآية ٣٦) قال سبحانه (وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا) (الأعراف: من الآية٥٦ ، ومن الآية ٨٥) ، ومن هنا فقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى يتبول فى الطريق العام أو فى مكان الظل أو فى الماء الجارى أو الراكد فقد استوجب اللعنة ، من الله وملائكته والناس أجمعين،

لماذا يُلعن ؟ لأنه تسبب فى تلوث البيئة وإشاعة الرائحة الكريهة فى البيئة وفى ممر الناس وكذلك تلوث الماء الذى يشرب منه الإنسان والحيوان والزرع وقد يكون الإنسان مريضاً فينشر المرض ، كذلك الذى يقف فى الشارع بجوار حائط ليتبول أو الطفل الذى يتبول ويتبرز فى الشارع لأن أمه أهملته ولم تعلمه ، كل هؤلاء ملعنون ، لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتقوا الملاعن الثلاث ، البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق والظل» رواه أبوداود ، ويقول عليه الصلاة والسلام «من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم» رواه الطبراني ، إذا كان الأمر كذلك فإن الواجب على الشباب أن يشكلوا من أنفسهم فرقاً لنظافة البيئة ، وتوعية الناس ، ثم غرس الأشجار أمام البيوت وفى الميادين وتسوية الأرض وتجميل المنطقة وتزينها وإنارة الشوارع ليلاً وهكذا بحيث يكون أبناء كل شارع أو حى أو منطقة يقومون بذلك وليس فى ذلك عيب أبداً فإن العيب أن نعيش فى منطقة ملوثة ، وعلى الكبار أن يشجعوا أبناءهم ويدفعوا بهم للإسهام فى هذا العمل الخدمى والرسول صلى الله عليه وسلم ينبهنا إلى غرس الأشجار وزراعتها حتى إذا قامت القيامة وفى يد الإنسان شتلة زرع فعليه أن يزرعها قبل أن يذهب إلى أرض المحشر ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إن قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها» رواه البخاري ، وتأمل معنى الحديث إنه دعوة للعمل وتكريمه لأن المؤمن يتخذ الدنيا مزرعة للآخرة والمزرعة تحتاج إلى عمل وسعى فالمؤمن يسخر الدنيا لنفسه ، ولا يسخر نفسه للدنيا ثم هو عضو عامل فى جسم الأمة ، ودم يجرى فى عروقها يمدها بالقوة والحركة والنماء ، إن المسلم إذا زرع أحسن وإذا تاجر برع ، وهو فى كل جانب من جوانب الحياة عامل ماهر منتج ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» رواه مسلم ، إن مجتمع المسلمين لابد أن يكون نظيفاً وعلى المسلم أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً وإن غدا لناظره لقريب.

٣ - المرأة نصف المجتمع لذلك فإن كل أنثى من حقها أن تشارك فى العمل التطوعى وأن توجه الدعوة لزميلاتها حتى يتجمع عدد منهن ليقمن بدور فعال فى خدمة المجتمع من خلال العمل التطوعى الذى يقوم على الحرية التامة من حيث اختيار الموضوع الذى يشارك فيه الفرد ، ونوع العمل ، والوقت الذى يتطوع به والحرية فى التطوع لا تكون مطلقة ، بل هى مقيدة من خلال الإطار العام وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين والحفاظ على الجماعة وحتى لا يكون هناك نشاز فى العمل الذى يمارسه الأشخاص فى المشروعات المحلية فلابد من أن تأتى الجهود التطوعية متناسقة فى إطار نظامى وحتى لا تكون

متناثرة غير متناسقة كان لابد أن يكون العمل التطوعى فى إطار محدد له عائد اجتماعي فى تنمية المجتمع المحلى .

٤ - تنمية المجتمع المحلى ثقافياً والاشتراك فى محو الأمية ، والعمل على تنمية دخل الأسرة ورفع مستواها الثقافى والاقتصادي والاشتراك فى التوعية بتنظيم الأسرة والتنويه بخطورة الزواج المبكر والأضرار الصحية من وراء ذلك .

٥ - تشكيل لجنة لحماية المستهلك وتوعية ربات البيوت حتى لا يستغلهن التجار .

٦ - توجيه ربات الأسر إلى الاهتمام بتربية الدواجن للاستفادة من البيض والانتفاع به فى الغذاء لمحاولة الإقلال من اللحوم للحد من أسعارها المرتفعة والاهتمام بتربية دود القز وعمل خلية لنحل العسل فوق السطوح وكيف نزرع البلكونة لتزين واجهة المنزل .

٧ - التدريب على أعمال الإسعاف لأى مريض أو جريح وإعطاء الحقن وغير ذلك من أعمال التمريض وإنشاء فرق رياضة فى كافة اللعبات .

٨ - تعلم الخياطة وشغل الإبرة وأعمال التطريز والتريكو والخياطة وغير ذلك مما يكون له عائد مالى يرفع مستوى الدخل للأسرة .

٩ - التدريب على أعمال المطبخ وصناعة المربات والحلويات والمخللات وغير ذلك مما تحتاجه المائدة والأشياء التى لا غنى عنها لأى فرد حى .

١٠- رعاية أحوال الأيتام ووضع نظم لكفالتهم والعناية بالمعاقين وذوى الاحتياجات الخاصة ورعاية المسنين ومن أصبحوا فى سن الشيخوخة وأسر المسجونين .

١١- الوقاية من الجريمة من خلال معرفة بؤر الفساد وتجمع المتشردين والتعرف على أساليبهم ومن يتعاطى البانجو والمخدرات ومن أين يحصلون عليها وإعطاء كل المعلومات للجنة الثقافة التى تهتم بنشر التوعية الدينية والصحية والاهتمام بالطفولة والأمومة والتوعية بكل هذه الأمور .

١٢- لجنة المصالحات ، وهى التى تقوم بالصلح بين المتخاصمين ، الرجل وزوجته الجار وجاره ، الصديق وصديقة ، المهم أن هذه اللجنة يشترك فيها ، الكبار والشباب من الجنسين للصلح وتدعيم المودة بين الناس .

١٣- تشكيل فرقة للكشافة وأخرى للجوالة مع الاتصال بالجهات المسئولة لوضعها تحت نظرها ومع ذلك يتم تشكيل مجموعة لتسمية الشوارع والميادين وترقيم البيوت نظير مبالغ رمزية لشراء اللوحات وكتابتها،وهذه اللجان عينة نقدمها ولكن هناك الكثير مما تحتاجة البيئة..

وعلينا أن ندرك أن التطوع للعمل الاجتماعي غرضه الأساسي هو تحسين أحوال البيئة خاصة فى الريف فيجب الاهتمام به وكل شخص يعيش بعيداً عن بلده التى ولد فيها وعاش سنينه الأولى بين ربوعها وعليه أن يفكر فى نوعية الخدمات التى يمكنه أن يؤديها وكيف

يشارك فى أى عمل تنموى لقريته لأن التمويل للنهوض بالبيئة يحتاج إلى تهيئة الجهود لمواجهة التحديات : لذلك لا بد من توزيع الأدوار على جميع الأفراد فمنهم من يساهم بالمال ومنهم من يساهم بالجهد ومن يساهم بالفكر وهذه الجهود تنظم من خلال الجمعية التى تشرف على توزيع العمل وتمويله من خلال الإسهامات التى تقدم إليها وتقوم هى من خلال شبكة الاتصالات بتوزيع الأدوار والربط بين كل فريق إن نوجه الأنظار إلى أن الريف يحتاج إلى كثير من الخدمات فى مجال التعليم ورصف الطرق وإنارتها وتوصيل المياه النقية للشرب والصرف الصحى وإنشاء المستوصفات والعمل على ربط القرى بالمدن بشبكة مواصلات سهلة وميسرة والاتصالات التليفونية وإدخال الخدمات العامة كمكاتب البريد والكمبيوتر وغير ذلك من الخدمات التى تنهض بالقرية وترفع مستواها مثل المكتبات العامة والأندية الرياضية ومكتب لصرف المعاشات والسجل المدنى ، أما فى المدن فيمكن الاهتمام بالسوق والتوعية من غش السلع وجشع التجار وحماية المستهلك ثم تيسير الأماكن لتسكين الطلبة المغتربين من الجنسين إلى ذلك مما قدمناه وما فيه التيسير على المغتربين.

إشراك الجماهير

إن العمل التطوعى بالبدن يحتاج إلى تمويل مالى خاصة وأن معدلات النمو السكانى قد أفرز احتياجات جديدة تحتاج إلى اتلكثير من المال والحكومة قد لا تستطيع وحدها تلبية هذه المطالب المالية ولهذا رأينا أن نبين أو لا إشراك الجماهير .

١ - تثقيف الجماهير وتوعيتهم بحجم المشكلات التى يعانى منها المجتمع الذى يعيشون فيه وأنه يجب أن يتم التعاون بكل جهد والإسهام فى تخفيض المعاناة عن الجماهير ويتم إشراك الجميع كل حسب قدرته فيد الله مع الجماعة .

٢ - وتأسيساً على ذلك لا بد من إشراك المواطنين جميعاً كل فى بيئته وحيه وبلده فى وضع خطط الخدمات ووضع الأولويات للمهم من الخدمات .

٣ - تنظيم دورات داخل المساجد ومراكز الشباب والجمعيات الزراعية والمؤسسات الاجتماعية لتوعية الجماهير وتسجيل أسماء المتطوعين فى أي مجال .

٤ - إن الإسهام بالجهد البدنى أو المالى فى العمل التطوعى لرفع مستوى الأداء فى أي موقع هو العلاج الصحيح لمواجهة مشاكل البيئة وتحقيق المتطلبات للنهوض بالقرية وتخفيف المعاناة عن الجماهير ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.

٥ - دعوة أبناء القرية ، أو الحي الذين يعيشون بعيداً عن قريتهم أو حيهم ويعملون فى الداخل أو الخارج والاستفادة من مواقعهم وخبرتهم فى أعمالهم ، والاستفادة من الشخصيات العامة من العلماء أو السياسيين أو رجال الأعمال أو الرياضيين أو الفنانين ،

وحثهم على الإسهام بكل ما يقدرون عليه بأى لون من ألوان الخدمة التى فى وسعهم أن يقدموها لقريتهم أو حيهم وربطهم بأصدقائهم القدامى ونهوضاً برفع مستوى الأداء على أرض الوطن العزيز ويخصص لذلك يوم لدعوتهم على أرض الواقع . «ويسمى هذا اليوم «عودة الطيور المهاجرة لوطنهم الأول».

٦- يتم فتح حساب فى أى بنك فى القرية ، أو مكتب بريد ويعلن عنه لتلقى التبرعات ممن يريد أن يسهم من أبناء المكان فى الداخل أو الخارج .

٧- منح حوافز أدبية للذين يساهمون برأيهم وفكرهم والمتبرعون بالمال والذين يشاركون فى العمل بجد ونشاط بحيث من يمنح هذه الحوافز يكون متميزاً فى تقديم خدمات عامة وهذه الحوافز هى شهادات تقدير أو دروع ، أو ميداليات ، وعندما يتم الاختيار تعلن الأسماء على الجماهير وتوزع فى حفل عام تدعى إليه القيادات السياسية والاجتماعية والشخصيات العامة .

معوقات
فى طريق العمل التطوعى

لا شك أن كل عمل ناجح يواجه ببعض المعوقين الذين لا يعملون ولا يحبون أن يعمل غيرهم واليهم وإلى أمثالهم أشار القرآن الكريم (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) (الأحزاب١٨ : ١٩)

وتتلخص أهم المعوقات فيما يأتى :

١- المشكلة الاقتصادية والتمويل المالى ، وهذا أهم شىء من المعوقات .

٢- هجرة الكثير من الريف إلى المدن بحثاً عن عمل وهؤلاء ليس لهم استقرار فهم كثيروا الترحال بحثاً عن العمل مما جعل توافر المتطوعين أمراً شاقاً للغاية .

٣- بعض الشباب مصاب بإحباط نظراً لما يعانونه من البطالة وقلة الدخل فحاولوا الانطواء على أنفسهم وانعزالهم عن المجتمع .

٤- سيطرة أشخاص من ذوى السمعة على الجمعيات أو لهم قوة تأثيرهم على جهة تجمع مريد العمل التطوعى لتحقيق مآرب شخصية لهم لذلك فقدت الجماهير الثقة فيهم وابتعدوا عن المشاركة أو الاشتراك مع هؤلاء ولكى نكون صادقين فى علاج مثل هذه الأمور علينا أن

نتخذ أساليب تتلائم مع البيئة وتكون سبباً فى نجاح العمل التطوعى وعلينا أن نعمل بجد ومهارة ونتفوق على أنفسنا فعلى كل منطقة أو قرية أن تضع من الخطط ما تراه يرقى بالأداء ويجمع الجماهير ويحقق أهدافهم ، وهذه بعض النقاط :

١- إشراك الجماهير بعرض خطة العمل المنشود عليهم والمطلوب من رؤوس العائلات تقديمه والإسهام فيه - ثم مواجهة المعوقين والحوار معهم بهدوء وسعة صدر والرد بوضوح وصراحة على ما يثيرونه من مشاكل تكون عائقاً أمام العمل .

٢- الحث على التبرع بالمال ووضعه فى البنك بايصال يكون مع المتبرع وصورة منه فى الجمعية أو المؤسسة التى تشرف على العمل وفتح سجلات لتسجيل حركة البنك وتحديد البنك وتحديد أوجه الصرف بناء على المستندات أو التوقيع من المستلم ، وعرض نتائج الوارد والمنصرف على الجماهير كل ثلاثة أشهر ومن لم يحضر هذا الاجتماع ولم يقدم أى اعتذار لتأخره لا يحق له الاعتراض .

٣- بالنسبة للشباب ممكن فتح مشاريع إنتاجية لهم مع تدريبهم على تحويل مسارهم وهناك أشياء من السهل القيام بها كصيد الأسماك ويمكن شراء آلات الصيد لهم ولعلنا نذكر هنا المثل الذى يقول «لا تعطنى سمكة ولكن أعطنى سنارة ودلنى على طريق البحر» لأنك لو أعطيتنى سمكة اليوم فأكلتها فمن يأتينى بهذا غداً لكننى بالسنارة أصطاد وآكل وأطعم غيرى معى ثم إن قدرة مجلس الادارة الذى سيشرف على العمل التطوعى من أول أساسياته جذب هؤلاء الشباب وإخراجهم من عزلتهم والدفع بهم فى أى عمل وتحفيزهم ولو بمبلغ بسيط لتنشيط هممهم وادماجهم مع بعضهم ومعاونتهم لتقديم أفضل ما عندهم .

٤- تنحية الأشخاص من ذوى السمعة السيئة وإبعادهم عن المناصب القيادية وعدم إشراكهم فى تحديد المشاكل وتوزيع الأدوار حتى يعرف أنه لا دور لهم ، ثم إن مجلس الادارة هو الذى يقوم بالتخطيط ووضع الأولويات التى يكون لها سرعة التنفيذ خاصة ما يتعلق بالأموال.

إن كل جهد مادى أو أدبى يبذله الإنسان فى سبيل الله مهما يكن من ضآلة حجمه فهو محسوب للإنسان فى رصيد حسناته عند رب لا يضيع من هذا البذل مثقال حبة من خردل، «ذلك لأن المال عصب الحياة وهو الدعم لكل عمل ناجح كما أن التفكير لأى عمل والتخطيط الجيد يعادل المال مع استعمال الفكر والتخطيط الجيد لوضع الأولويات التى يكون لها سرعة التنفيذ ، فالتمويل للعمل التطوعى يحتاج إلى جناحين كى ينجح ، مال ، وفكر ، وقد يكون الفكر أنجح من المال لأن التخطيط الجيد يؤدى إلى النجاح ، من هنا نقول بأنه ليس هناك معوقات للنهوض بالعمل التطوعى الخدمى ، فلو أن كل شخص تبرع بنصف ساعة كل يوم ليمحو أمية الأميين ولو تحت شجرة أو على المصطبة فى ميدان سينجح وهذا لن يحتاج إلى

مال ولكن دعماً للعمل لابد أن يكون هناك تمويل مالى ولهذا يكون التمويل على الوجه الآتى:

تبرع الأفراد وكذلك الهيئات والمؤسسات ، وقبول الهدايا والمنح من أى جهة وهنا لابد من التوعية بأن التبرع بالمال له ثواب كثير وأجر عظيم ومساهمة من المتبرع فى رفع مستوى القرية أو الحى ذلك لأن المتبرع للمشاريع العامة والعمل الاجتماعى الخدمى له من الله الأجر والقرش الذى يقدمه الشخص بطيب نفس وسخاء ينميه الله لصاحبه ليرده إليه سبعمائة قرش وقد قال الله سبحانه فى بيان ذلك (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة٢٦١ :٢٦٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإنه يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه زرواه الشيخان (وهو المهر الصغير) حتى تكون مثل جبل أحد(٢) إن ما يبذله الإنسان وما يقدمه لصالح العمل الاجتماعي العام فإن العائد على من ساهم فى بناء المجتمع عظيم لأنه يشارك فى بناء مجد الأمة ورقيها ويسهم فى تحضيرها ثم هو يمارس رسالته التى خلقه الله من أجلها إن المجتمع فى حال بنائه يحتاج إلى الإنسان الذى يعطى قبل أن يأخذ».

والذى يقول ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (١) ، وهو يؤمن بأن «النظافة من الإيمان ، وهى سلوك دينى ومظهر حضارى»، والنظافة هى نظافة البيئة ، ونظافة البدن ، ونظافة الملبس ، ونظافة القلب ، وتوظيف الجسد ليكون فى خدمة الجميع ليكون ممن قال الله فيهم: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر:٩)

إن المسلم مطالب دائماً بأن يعمل بجد ويجود عمله ويتقنه ويبتكر فى أسلوب الأداء. ويؤدى الواجب عليه قبل أن يطلب الحق الذى له ، ويطيب نفساً ببذل المال عند الحاجة ، ويضحى بمصلحته الخاصة فى سبيل المصلحة العامة لإيمانه القوى بأن من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته .

إن البذل والإسهام بالمال فى سبيل مصلحة الجميع إنما هو مشاركة فى رقى القرية وهذا إرضاء لنفس الإنسان المعطى لأن ما أعطاه الفرد يعود عليه أضعافاً مضاعفة وصدق الله العظيم (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)(البقرة: من الآية٢٧٢) ..

إنه فى عالم الواقع نلحظ أن قيم المشاركة المالية بدأت تجف منابعها لأن الإنسان بدأ يسعى إلى تحقيق مكانة اجتماعية لنفسه وبرز دور المنافسة الحادة المحمومة بين مختلف الأفراد من أجل الوصول إلى مكانة اجتماعية وهذه نزعة طبيعية لكنها لو وصلت إلى مسك اليد عن النفاق والبخل وعدم المشاركة فى العمل العام فهذا شىء مذموم فلا ترضاه النفس المؤمنة التى تتطلع إلى عطاء الله وثوابه لأن هذه النفوس الكريمة تؤمن بأن المال مال الله وأن الإنسان مستخلف على هذا المال وأن صاحب المال رغب المستخلف فى الإنفاق على العمل الاجتماعي الذى له عائد على الجميع، لأن الإنسان فيه نزعة اجتماعية فطرية، لكنها فى صراع مع النزعة الفردية المشبعة بالأنانية ، ولذلك وصفها الخالق بقوله: (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الأَنْفَاقِ وَكَانَ الإنسان قَتُوراً) (الإسراء: ١٠٠)

وصور الرسول صلى الله عليه وسلم حرص الإنسان على الدنيا وطمعه فى متاعها بقوله عليه الصلاة والسلام «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً» ولو سرت هذه الروح بين الناس لتوقفت عجلة التنمية وانحسرت الحضارة وأفلت شمسها وغاضت ينابيع الخير فى نفوس الناس وانطمست معالم الحق ، ذلك لأننا لو نظرنا إلى رسالات الأنبياء وأفكار المصلحين لوجدنا أن التقدم الصناعى والإسهام فى الكشف عن المعادن وتدوين العلم والاستكشافات والاختراعات وبناء الحضارة والتوصل إلى الصناعة الخفيفة والثقيلة لم يتم كل ذلك وغيره إلا بإسهامات الأغنياء ومساعدة من متوسطى الحال ، بل والفقراء كانوا يساهمون ويتبرعون بكل غال ورخيص وبذل المال فى سبيل الصالح العام ، وربما يكون من تبرع فى حاجة إلى الشيء الذى تبرع به ولكنهم بكل ثقة فيما عند الله الذى سيخلف عليهم ما بذلوا وقدموا يرددون قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه ، وقوله عليه الصلاة والسلام «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه» متفق عليه، وقوله عليه الصلاة والسلام «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه ومن الحكم الجميلة «ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط» وأذكر أننى نزلت الكثير من القرى لحث الجماهير على بناء مساجد فى النجوع التى ليس بها مساجد أو التبرع بالأراضى للمساهمة فى بناء المدارس . وقد كانت التبرعات تنهال علينا حتى بحلى النساء بل وكان البعض يأتينا بالماعز والخراف والفراخ الحية ، ولقد اقترح علينا بعض أفراد اللجنة عمل مزاد علنى على كل شيء حى ولقد كان يصل ثمن الشيء من الخراف أو الماعز أو الفراخ ثلاثة أضعاف الثمن ثم يعود مشتريها بالتبرع بها بعد أن دفع الثمن المضاعف وقد تبرعت بعض الأسر بأخذ هذه الأشياء الحية لإطعامها ثم التوجه بها إلى

سوق المدينة لبيعها لهذا كان المال يتدفق وأذكر أن قرية فى الشرقية كان مخططا أن نبنى بها مسجدا ومعهدا ابتدائياً وإزاء هذه الروح بنينا المسجد على مساحة ٨٠٠ متر ومعهداً ابتدائياً مشتركاً ومعهدين إعدادي بنين وبنات ومثلهما ثانوى ومعهد للقراءات ومكتب بريد . وبعد عشر سنوات بدأت القرية تفكر فى بناء جامعة، ولكن اللجنة المشاركة معى طلبت الاتجاه إلى محافظة أخرى وكان نفس الحماس . لأن الناس إذا وثقوا باللجنة المشرفة تدفق العطاء . ولقد كان لنا يوم إفطار شهر رمضان فى قرية ووجهت الدعوة إلى محافظ الإقليم فطلب مقابلة بعض الأفراد من القرية وسألهم عن سبب الدعوة فشرحوا له مهمتنا فسألهم هتفطرونا إيه فذكروا له الأصناف والذبيحة والكراسى والترابيزات التى سوف يستأجرونها . المهم سألهم فى النهاية عن المبلغ المرصود لهذه العزومة فذكروه له فقال هذا المبلغ هو أول تبرع للمشروعات أما إفطارى أنا ومن معى سيكون فول مدمس والجلوس فى المسجد ولو فعلتم غير ذلك لن أحضر وإن حضرت ووجدت غير ما قلت سأعود فوراً ولقد تم فعلاً ما اشر به هذا التوجه من المحافظ جعل أهل القرية كلهم يطبخون فولاً وتحضر الصوانى إلى المسجد وساحته التى امتلأت بالناس وبعد صلاة التروايح وقف المحافظ وأعلن عن بدء جمع التبرعات وأخرج محفظته وتبرع بالأف جنيه وهنا تسابق أبناء القرية ومن ليس معه مال كان يخلع دبلة فرحه ولم ينصرف المحافظ إلا وكان المبلغ النقدى الذى جُمع وصل إلى أكثر من ٨٠ ألف جنيه وفى اليوم التالى وفد أبناء القرى المجاورة وتعرفوا على ما حصل وسرت هناك موجة التعمير وتعبيد الطرق وبدأ أصحاب الأراضي التى تقع على الطريق الذى يربط القرية بالطريق العام بتبرع الواحد منهم بـ ٥ أمتار والمواجه له مثله واتسع الطريق وبدأ الشباب يغرسون الشجر على جانبيه وهكذا تحولت القرى إلى خلية نحل لأنهم وجدوا قدوة صالحة تتمثل فى القيادة التنفيذية ومن حوله . إن الشعب المصرى عنده أصالة قد تحجب لكنها فترة قصيرة إذا وجدت من يذكرها تنبهت وأسرعت وضحت وبذلت ولن تبخل أبداً ذلك لأن تاريخنا حافل بالقيم العالية الرفيعة والأخلاق النبيلة والإسهامات فى سبيل دعم العمل الاجتماعى والنهوض بالمواقف العامة . ومما يذكر فى هذا الصدد أنه لما نزل قول الله سبحانه وتعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة:٢٤٥)

قال صحابى جليل يسمى «أبو الدحداح» يا رسول الله فداك أبى وأمى إن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض؟ قال نعم يريد أن يدخلكم الجنة به . قال : فإنى قد أقرضت ربى قرضاً يضمن لى به وبصبيتى الدحداحة معى الجنة به . قال نعم قال ناولنى يدك فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع فقال إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل أحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك . قال فأشهدك يا رسول الله أنى قد جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة . قال : إذاً يجزيك الله به الجنة فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهو مع صبيانها فى الحديقة تدور حول النخل (وأخبرها بأنه تبرع بهذه الحديقة لله) فقالت ربح بيعك وبارك الله فيما أشتريت . ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما فى أفواههم وتنقض ما فى أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كم من عذق رداح ودار فياح لأبى الدحداح «أى فى الجنة» رواه الطبرانى . من هنا فإن علينا أن ننبه الناس إلى فضل التبرع والتصدق بالمال والتطوع بالوقت فى سبيل العمل الاجتماعي الذى يعود نفعه للصالح العام .

٢ - الزكاة : هى إخراج جزء من مال بلغ نصاباً معيناً وحال عليه الحول . ذلك لأن الناس يتفاوتون فى الأرزاق والمواهب والقدرة على تحصيل المكاسب . وهذا أمر مشهور فى الواقع. ومثل هذا التفاوت يحتاج فى شرع الله إلى علاج لأنه سبحانه هو

القائل : (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (النحل: ٧١)

فالله سبحانه فضل بعضنا على بعض فى الرزق . وأوجب على الغنى أن يعطى الفقير العاجز المريض جزءاً مفروضاً وليس تطوعاً ، ولا مِنه من الغنى ولهذا قال سبحانه : (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذريات: ١٩)

إن الزكاة هى الوسيلة الوحيدة لعلاج التفاوت بين الأفراد وهى تنشر مظلة التكافل الاجتماعي بين الناس . ثم هى تصون المال من الهلاك فمن أخرج زكاة ماله فالله ينميه له ويحفظه من الحريق أو الغرق أو السرقة . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما تلف مال فى بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة» رواه الطبرانى .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع» رواه أبو داود فى المراسيل .، والزكاة تطهر نفس مخرجها من داء الشح والبخل ، وهما مرضان خطيران .

لأن البخيل بعيد عن الله بعيد عن الناس قريب من النار . إن المؤمن يعلم أن المال مال الله وأنه هو خليفة عن الله فى إدارة هذا المال ولما كان سبحانه وتعالى هو صاحب المال فقد وجه الشخص القائم على إدارة هذا المال بشكر الله سبحانه وإخراج جزء منه للفقراء

والمساكين واليتامى والأرامل وإعطائهم إلى حد الكفاية . ويساهم المزكى بإخراجه للزكاة بواجبه الاجتماعي فى نشر التكافل الاجتماعي وهذا يؤدى إلى الأمن الاجتماعي بين الناس لأن الزكاة عون للفقراء والمحتاجين تأخذ بأيديهم لترقى بهم وترفع مستواهم حتى يستأنفوا حياتهم بالعمل الذى يعود عليهم خيره . لأن المسلمين نشطاء فى حياتهم «فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» إن إخراج الزكاة نماء للمال وتنمية للثروة وزيادة له وطهارة لهذا قال سبحانه (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)(التوبة: من الآية١٠٣). ويقول سبحانه : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) (الشمس:٩) ، أى زكى نفسه وطهرها بإخراج الزكاة وصان ماله وحفظه وأمن عليه عند الله ، والزكاة ركن من أركان الإسلام . وفرض من فروضه . وقد أوجبها الله سبحانه على الأغنياء ووعدهم على إخراجها الثواب فى الآخرة . والزيادة فى أموالهم بالبركة والنماء فى الدنيا ، وتعطى للفقراء والمساكين . وقد نبه الإسلام معتنقيه إلى أن يعملوا ويكسبوا لأن الشخص الذى يعمل له ثواب وأجر فإذا أتقن الفرد عمله وجدد فيه وأبتكر فى أسلوب الأداء فإن الله يبارك له فى صحته ويبارك له فى رزقه وأولاده ويمنحه التوفيق .

مجتمع الكفاية

إن مجتمع المسلمين هو مجتمع الكفاية لكل فرد يعيش على أرض الوطن ويستظل بسمائة والعدالة فى توزيع الثروات على قدر جهد الشخص وعمله وإنتاجه . فمن أبطأ به عمله لسبب خارج عن إرادته فإن فى أموال الصدقات والزكاة ما يغنيه . وكل شخص يجب أن يتحلى بالقناعة والغنى . لأن الغنى هو غنى النفس أولاً . ولذا قيل :

يعز غنى النفس إن قل ماله ويغنى غنى المال وهو ذليل

والإسلام يفترض فى معتنقيه أن يحولوا أموال الصدقات والتبرعات والزكاة إلى أدوات إنتاج ومصانع واستصلاح الأراضى والزراعة وتربية الثروة الداجنة والحيوانية ومزرعة للأسماك المهم أن تكون الزكاة وغيرها مصدر تمويل لمشاريع إنتاجية وليس للاستهلاك حتى يكون هناك تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة وهذا من أهم ما وجه الإسلام النظر إليه . إن مجتمع الكفاية لن يتواجد إلا إذا عمل الجميع بكفاءة وقدرة . ولابد من توفير أدوات الإنتاج ومستلزماته ويمكن شراء ذلك من أموال التبرعات والزكاة على أن يتم تشغيل العاطلين أولاً وإيجاد فرص عمل لكل قادر . الله سبحانه يحب المؤمن المحترف لأن خير الناس من صح إيمانهم ودل عملهم الصالح على صدق إخلاصهم إن من صدق فى إيمانه وأخلص عمله وأتقن فيه وجوده وابتكر فى أسلوب الأداء ، فله فى الدنيا السعادة وفى

رزقه وأولاده البركة وعند الله : (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (البينة:٨)

إنه لكى يكون مجتمع الكفاية قائماً منتجاً فلابد أن تتم العناية بتأهيل القوى البشرية ليكون كل فرد قادراً على حمل المسئولية عنده قدرته على الوفاء بمتطلباتها وهو مع نمو طموحاته فى محيط عمله عليه أن يكتسب المزيد من المهارات والخبرات فيضيف إلى خبرة من سبقوه ومهدوا له الطريق ثم أبواب النجاح بفضل الله ومشيئته، صدق الله العظيم حين يقول: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)(الطلاق: من الآية٢)، (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) (الطلاق:٣) وقوله سبحانه :(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً)(الطلاق: من الآية٤).

الــوقــف

إذا كانت الزكاة تقيم مجتمع التكافل فهى تشيع الطمأنينة فى نفوس أفراد المجتمع وتنشر الأمن بينهم وتقوى العلاقة بين الغنى والفقير وتنمى الثروة . وتزيد فى الرخاء . وتدعم الوضع الاقتصادى للأمة فلا يتعرض المجتمع لخلخلة ولا انهيار . إن الزكاة وسيلة من أعظم الوسائل لتحقيق الرخاء وتجعل كل فرد يمضى إلى عمله بمهارة وإتقان ويبتكر فى أسلوب الإنتاج لأنه يثق أن بعض عائده له ويأتى بعد ذلك دور (الوقف) وهو شىء مهم فى إنعاش المجتمع ورفاهيته - وهو حبس عائد العين على حكم ما أشار به الواقف من أفعال البر والتصدق بالمنفعة على جهة الخير فمثلاً رجل عنده أرض زراعية فأوقف منها عشرة أفدنة أو أكثر وحدد أن يصرف ريعها على جوائز لحفظه القرآن الكريم وفرش المساجد وشراء المصاحف وطبع الكتب الدينية وبناء مؤسسة لإيواء الأيتام وإيفاد بعض علماء الإسلام للخارج لنشر الثقافة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الدينية وبناء المراكز الإسلامية فى بلاد لا تعرف شيئاً عن الإسلام وترجمة معانى القرآن بلغة تلك البلاد وطبع الأحاديث النبوية والسيرة المحمدية كذلك . وشرح أركان الإسلام وكتابة السيرة الذاتية لعظماء الإسلام الذين أسهموا بفكرهم فى رسم خطط التجارة وأسس الاقتصاد وأنواع الزراعة وتنمية المجتمع وغير ذلكم من أعمال النهضة الحضارية للأمة الإسلامية ، أو أن يكون شخص قد رصد عنده عمارات فيوقف عمارة لمثل هذا الموضوع ، أو رصد مبلغاً من المال لتوزيع عائده على الفقراء والأيتام وهكذا ، والوقف من الأعمال العظيمة التى يتقرب بها الشخص إلى الله فهو من أعمال الخير والبر . وقد قال الله سبحانه : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة:١٧٧)

وقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (البقرة:٢٦٧)

والوقف من عمل البر الذى ينال صاحبه ثواب الدنيا والآخرة ، ففى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ز رواه الترمذى.، والولد الصالح هو القائم بتأدية فرائض الله وحقوق العباد . والإنسان المؤمن ذو قلب رحيم يسارع فى فعل الخير ويقصد أن تناله رحمة الله التى وسعت كل شىء وهو يدرك تماماً أن هذه الرحمة لا تنال إلا برعاية مصالح الناس لأن الله يرحم الرحماء ، ومن لا يرحم لا يُرحم . ولقد قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال له عليه الصلاة والسلام : إن رحمتها رحمك الله» ، ويذكر المؤرخون أن عمرو بن العاص عندما فتح مصر نزلت حمامة على خيمته وبنت لها عشا فوقها فلما أراد الرحيل رآها ترفرف فوق عشها لأن به فراخها الصغار . فلم يشأ أن يفجعها فترك فسطاطه إكراماً لحمامة . ولذلك تكاثر العمران حول خيمة عمرو وأصبحت مدينة سميت - مدينة الفسطاط».

هذه الرحمة هى ينبوع فياض بالخير والإحسان على الإنسان والحيوان . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا يا رسول الله : كلنا رحيم ، قال إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة ز رواه الطبرانى ، وكما أن فعل الخير يكون بالمال ، هناك كذلك أعمال لها نفس الثواب وهذه الأعمال هى من أعمال البر والخير والإحسان إلى الغير ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضها فى حديثه الذى يقول فيه «تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك عن دلوك فى دلو أخيك لك صدقة» رواه الترمذى وابن حيان وفى حديث أخر يقول عليه السلام «إتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» رواه البخارى ومسلم. ، لقد تجلى هذا الخلق العظيم فى العلاقات الاجتماعية ،

لهذا سادت العواطف الكريمة وتجلت هذه المشاعر النبيلة ، فتدفق البر وفاض الخير ، وعمت الرحمة المجتمع ، وتنافس المسلمون فى وقف الأطيان والعقارات والأموال وكل ذلك بدافع الرحمة ورغبة فى مثوبة الله لهم وأن لا ينقطع عملهم بعد موتهم . فأوقفوا على إطعام الجائع وكسوة العارى وإيواء الغريب ، وتعليم الجاهل وإغاثة المحروم . وكل عمل نبيل له غرض شريف ، وقد أشركوا الحيوان معهم . لأن نبل النفوس وسلطان الدين ويقظة الضمير دفعتهم ليتحيروا الأغراض الشريفة ليوقفوا أموالهم للإنفاق من ريعها فى أوجه الخير ونعرض لبعض النماذج من الأوقاف :

١ - وقف الغاضبات : وقف يؤسس من ريعه بيت ، وبه كل مستلزمات المعيشة ، تذهب إليه الزوجة التى يغاضبها زوجها وليس لها أهل ، وتظل فى عيشة طيبة من ريع الوقف حتى يذهب النفور بين الزوجة وزوجها ، وتعود الحياة إلى سيرتها الأولى بينهما.

٢ - وقف الأعراس : وهو وقف يشترى من ريعه ما تحتاجه العروسة من حلى وأثواب. وتستعير منه العرائس الفقيرات ما يلزمهن فى أيام أفراحهن ، ثم يقمن برد ما استعرنه بعد سبع ليال ، وبهذا الأسلوب يتيسر للفقيرات أن يظهرن فى أفراحهن وهن فى أبهى صورة وأجمل هيئة وتمر عليهن ليالى أفراحهن وهو يشعرن بالفرح والسعادة .

٣ - وقف الزبادى : وهو وقف يشترى من ريعه أطباق ، لكل خادم ينكسر منه طبق أو يضيع ، فإذا شعر أنه سوف يتعرض لغضب مخدومه ، ذهب إلى إدارة الوقف ويتم الشراء من ريع الوقف مثل الطبق المفقود ويأخذه الخادم لينجو من عقاب مخدومه .

٤ - وقف مؤنس المرضى وخداعهم : وهو وقف يعين من ريعه أصحاب الأصوات الحسنة ليقوموا بترتيل القرآن والقصائد الدينية طوال الليل إيناساً للمرضى الذين يسهرون الليل من شدة المرض وليس معهم من يؤنسهم. كذلك يتم تعيين عدة أشخاص ليقوم كل شخصين بإدارة حوار مع بعضهما فى مكان قريب من مريض يسمع منه كلامهما ولا يراهما ، فيقول أحدهما للآخر: ماذا قال الطبيب عن المريض فلان فيقول الآخر : لقد قال الطبيب أنه لا بأس به فشفاؤه قريب ولا يوجد به ما يمرضه، وأنما هى وعكة خفيفة وسينهض من فراشه عاجلاً .

٥ - وقف الكلاب الضالة : وهو وقف ينفق من ريعه على إطعام الحيوانات الأليفة التى ليس لها صاحب ولا من يقدم لها الطعام كالقطط والكلاب ، وهذا العمل من باب الرحمة بها واستنفاداً لها من عذاب الجوع .

هذه عينات من الوقف وهو متنوع ومتعدد والذين أوقفوها فى قلوبهم رحمة وخير يقدمونه بغيرهم ، ذلك لأن أحاسيسهم رقيقة ومشاعرهم سامية ولم يكفهم أن يكون

عملهم فى أنواع الخير والبر مقصوراً على حياتهم الدنيا فأرادوا صدقة وحسنة دائمة يكتب لهم أجرها ما بقيت الحياة وبقى الإنسان .. إن الوقف نزعة إنسانية وله دورعظيم فى النهوض بالمجتمع فمنه تبنى المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات وتؤسس المعامل وتستصلح الأراضى الزراعية وتفجر الآبار وتضخ المياه هنا وهناك ، تنمية شاملة لكى مناحى الحياة . لذلك كان المسلمون يتسابقون فى وقف ما لديهم بحافز من أنفسهم وباعث من ضمائرهم وكل واحد منهم يوقن أن سعادته فى الدنيا وفوزه فى الآخرة موقوف على العمل الصالح الذى يستمر عطاؤه ويعود نفعه على كل ذى كبد رطب ، والوقف من خصائص الإسلام فأساسه عاطفة دينية ، وهدفه تحصيل الثواب . وهذا عطاء عظيم وخدمة جليلة للأجيال التى تنتفع بها العطاء . إن هذا العطاء من هذه النفوس الكريمة أعظم دليل على أن المسلمين يبنون ولا يهدمون ، يعمرون ولا يخربون ، يسالمون ولا يحاربون ، يُعَلِمَون ويتعلَمون . وهم يعلمون أن العمل الصالح والصدقة التى يقدمونها لغيرهم والأوقاف التى أوقفوها لها ثواب عظيم وأجر كبير علاوة على ذلك هناك عائد أخر ، هو زيادة فى العمر وسعة فى الرزق . يحدد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله «إن الصدقة وصلة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ، ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور» رواه أبو يعلى - الترغيب والترهيب وجـ ٣ ، صـ٣٣٥ . .

كما روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يزاد فى عمره ويزاد فى رزقه فليصل رحمه» رواه البزار والحاكم وصححه.

أن من يمنع الخير ولا يسهم فى العمل الاجتماعي بحيث لا يتطوع ولا يعطى أى شىء من جهده أو ماله إنما هو بفعله هذا قد بغى على الحق الاجتماعي وجار على الآخرين وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قاتل مانعى الزكاة ومن المأثور أن حاتم النعمان دخل على الخليفة عمرو بن عبد العزيز فوجده يبكى. فسأله عن سبب بكائه فقال : أبكى أبكى جاهداً محروماً ، وفقيراً جائعاً ومريضاً ضالاً ، وعارياً مجهوداً ، ومظلوماً مقهوراً ، وغربياً أسيراً وشيخاً كثرت عياله وقل ماله . وأخاف أن يأتى أجلى قبل أن أوفى ما على ، هذا عمر بن عبد العزيز الذى بحثوا فى أيام خلافته عن شخص يأخذ الزكاة فلم يجدوا من يأخذها لأن القناعة عمت النفوس والضمائر مستيقظة والهمم عالية والنفوس راضية .. فأين نحن من هذا الخلق العظيم؟؟

دور المؤسسات والجمعيات

إن دور المؤسسات الاجتماعية والجميعات الخيرية عظيم جداً لأن التخطيط لاستخدام خدمات تنموية للأفراد ليتعايشوا من كسب أيديهم وعرق جبينهم أصل أصيل من تخطيط

هذه المؤسسات وحتى يكون من وراء ذلك كفايتهم . والمفروض فى الأفراد أن يبتكروا فى أساليب العمل الذى يقوم به كل فرد لأن تطور الحياة وتقدمها يعتمد على الأشخاص الذين يخططون بمهارة وكفاءة ثم إن على الجمعيات والمؤسسات أن تهتم بالتنمية الشاملة لكل مناحى الحياة وهذا يعنى الاستمرار فى العمل الاجتماعي التطوعى وعدم التراخى والإهمال ثم القيام بالواجب . وعدم النظر إلى العائد الشخصى لأن المهم هو العائد الاجتماعي . ولابد من إنكار الذات مع استشعار الأمانة والمسئولية . إننا إذا نظرنا إلى عدد الجمعيات والمؤسسات فى مجتمعنا نجد أنها تزيد عن (١٧,٠٠٠) سبعة عشر ألف جمعية ومؤسسة فلو أن كل جمعية حددت أهدافها ورسمت برامجها وخططت بدقة وأشركت الجماهير معها للنهوض بالمجتمع وتوجيه الشباب للمشاركة الفعالة من ناحية والعمل حتى ولو بتربية دود القز والثورة الداجنة وصيد الأسماك وصناعة عش الغرب وسيكون الخير عظيماً ثم يكون هناك فريق آخر يقوم بالتوعية الاجتماعية نشر الثقافة ومحو الأمية والتوعية بأخطار الزواج المبكر والاهتمام بتربية الأطفال إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التنموية ولو فعلنا ذلك لتغيرت صورة المجتمع ونهضت الأمة لأن المجتمع الإنساني مجتمع نظيف لا يعرف التلوث الفكرى ولا التلوث البيئى ولا التلوث السمعى ولا التلوث البصرى إلا من خلال الأفراد .. وأن على أفراده أن يعطوا من عائد عملهم واحترامهم للوقت فلا يضيعونه ويتبرعون إذا وثقوا فى القائمين على العمل الاجتماعي لنشر مظلة التكافل الاجتماعي وبهذا لا يكون بينهم متسول لأن التسول نشأ نتيجة الجهل والجشع والكسل فأنا أذكر أن شاباً قوياً يبلغ من السن ١٥ خمسة عشر سنة تقدم وبيده فوطة على السيارة التى أركبها ليمسح بابها وزجاجها . ففتحت الباب وناديت على الشاب وقلت له ليه بتمتهن هذه المهنة . فكان رده أنت مالك ، فقلت له : أبوك عايش . قال : ملكش دعوة قلت له : أنت متعلم . قال معايا الابتدائية . وتركت المدرسة بعد ما نجحت فى سنة ثانية إعدادي قلت له عندى وظيفة لك .. قال مرتبها كام؟ ، قلت له خمسين جنيهاً . قال أنا بجبهم فى يوم واحد . وتركنى وانصرف إلى سيارة أخرى والناس كذلك يعطونه وما عرفوا أنهم يضرونه ويشجعون أمثاله ومن هنا تتكون فئة تعيش على التسول وتقلل شريحة اجتماعية عن العمل والإنتاج . إن الشخص الذى عنده كرامه لا يمد يده تحت أى ظرف .. وإنما هو يمتهن مهنة . أو يحترف حرفة ليتعايش منها ، إن على المؤسسات والجمعيات أن يكون هدفها هو إلغاء الدور التكاسلى الى بدأ البعض يمتهنه ولابد من القضاء على الاتكال على الغير والاعتماد على البلطجة ويكون ذلك من خلال تثقيف الجماهير ونشر التوعية وإشراكهم فى العمل الاجتماعي ونشر مظلة الرعاية الاجتماعية إن تحويل الطاقات المعطلة إلى طاقات منتجة واحتضان العقول المفكرة المبتكرة يجفف منابع التسول ويقضى على الكسل . إن كل شخص فى عنقه ضريبة للمجتمع عليه أن يقوم بأداء هذه الضريبة بأمانة مع مد يد المساعدة وانتشال من أوقعهم حظهم العاثر.

فى بؤرة الخمول والتراخى ومساعدتهم حتى ينهضوا واقفين من جديد إن نشر الوعى الاجتماعي سيكون مكسباً عظيماً للمجتمع . وعلينا أن نهتم بالأطفال خاصة المتسربين من التعليم وقبل أن يقعوا فى أيدي من لا ضمير لهم ومع محو أميتهم وتدريبهم على الحرف التى تتناسب مع أجسامهم وعقولهم حتى يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم ونشر التوعية بينهم ويكون التركيز فيه على - التطوع بعد القدرة على المكسب . والعطاء لمن هم فى مثل الحالة السابقة لمن تطوع فكما امتدت إليه الأيدي الرحيمة عليه أن يكون مثل من ساعدوه وإذا كنا نطالب كل شخص أن يكون على صلة بوطنه الأول لأن حب الوطن من الإيمان فهذا ما نسيمه بعودة التحام الفرع بأصوله والعودة إلى الجذور الأولى ، وإن على أبناء القرى الذين هجروها أن يفكروا جيداً فيما يقدمونه إلى قراهم لأننا نعلم جيداً أن القرية فى الماضى كانت منتجه مصدرة . وكانت مصدر عطاء لكل من يتصل بها لكن نظراً لهجرة الكثير من أبنائها وعدم اتصالهم بها أصبحت مستوردة مستهلكة .. وتغير الحال . فلو أن أبناءها عادوا إليها وقاموا بأداء الواجب فيها لتغير وضعها وعادت إلى سيرتها الأولى . يقول ابن حزم «فرض الله على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم» فيلزم المسلمون منهم أن يقدموا إلى أبناء قريتهم ما يأكلون ومن اللباس للشتاء والصيف ما يحميهم وبمسكن يقيهم من المطر والشمس وعيون المارة . ورسول الله علية الصلاة والسلام يقول «ما آمن بى من بات شبعان وجاره إلى جواره جائع» رواه البزار ويقول علية الصلاة والسلام «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له» وهذا النص ينبه إلى من كان معه مكان فى سيارته أو على جمله فليحمل من ليس عنده ، وإذا كنا قد أصبحنا فى زمن (ابن الحرام مخلاش لابن الحلال وسيلة) فإنه لا مانع أبداً عن البحث فى الأماكن عن الأشخاص الذين لا يسألون الناس إلحافاً .

ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له - قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه راوى الحديث - فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أن لا حق لأحد منا فى فضل ز رواه مسلم - إن الدور الاجتماعي للمؤسسات والجمعيات عظيم وأن عليهم أن يقوموا به حتى لا يأثموا ويضيعوا على المجتمع فرصة لا تعوض ويحاسبون على ذلك أمام رب عظيم وفى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن حياته لموته ومن صحته لمرضه ومن شبابه لكهولته .

ونداء نوجهه ونسمع لكل شخص : ارتبط بقريتك . وساهم فى تنميتها وتطوع ولو بساعة كل أسبوع لتقديم ما لديك إلى أبناء بلدك وأهل محلتك وحتى نصل الآباء والأجداد ونجدد ذكراهم فى أذهان الناس وحتى يقول الناس عنك إن من أنجبك لم يمت .. والذكر للإنسان عمر ثان فإلى العمل والانتاج والعطاء والتطوع بكل همة ويد الله مع الجماعة . والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

التعــاون

الحمد لله رب العالمين سبحانه ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، وفضله على كثير من خلقه، وصدق الله العظيم : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء: ٧٠)

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الذى بعثه الله خاتماً للأنبياء والمرسلين هاديا إلى طريق الخير . أمر الناس بالتعاون مع بعضهم ، وأخبر الناس جميعاً بأن خير الناس أنفعهم للناس ، ذلك لأن وحى الله إليه أن يحث الناس على أن يتعاونوا مع بعضهم على فعل الخير ، وتعمير الأرض ، والارتقاء بالمجتمع ، ولهذا قال الحق سبحانه وتعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الأثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(المائدة: من الآية٢) ، صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين رباهـم على مكارم الأخلاق وآخى بينهم أخوة جعلتهم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، لذلك تعانوا مع بعضهم ، وكل واحد يشد على يدى أخيه بحب وتآلف ، وشعارهم :

كونوا جميعاً يا بنى إذا اعـترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا ... وإذا أنفردن تكسرت آحادا

وتمسكوا بقول الله سبحانه : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(آل عمران:١٠٣)

وقال قائلهم :

ومن ذا الذى رأى كفاً يصفق وحده ... وهل حائط فى الانفراد تقام

لهذا كنت ترى المسلمين فى تعاونهم قد ضربوا نماذج رائعة فمن ذلك . أن أحدهم ذبح بقرة ووزع لحمها كله . وبعد أن فرغ تذكر أحد جيرانه ، وأنه لم يهد له ، فتلفت فوجد رأس الذبيحة ، فأرسل بها إلى جاره . فلما وصلت الجار ، سأل الرجل زوجته هل عندنا عشاء الليلة؟ قالت : نعم . فقال الرجل فى نفسه . جارى فلان أولى بها فأرسل الرأس إلى جاره . فسأل الرجل زوجته . أعندنا عشاء الليلة ؟ قالت : نعم . فأخذ الرجل يفكر . ثم قال : جارى فلان أولى بها . وهكذا بدأت الرأس تنتقل من دار لدار . والسبب أن كل واحد عنده عشاء ليلته ، وهذا ناتج من حبهم لبعضهم والإيثار الذى تحلوا به .. لذلك لو قال أحدهم - آه - يشكو

أى وجع لجاوبه أهل حيه وعشيرته ألف سلامة ياحبيبنا ، وهذا ما عبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه البخارى .

هذه الإخوة والتعاون دليل على روح الإيمان الحى ، والمشاعر الطيبة الرقيقة التى يكنها المسلم لأخيه فى الإنسانية ، إن من حق أخيك المسلم أن تكون عوناً له فى السراء والضراء. وأن تحب النفع له . وأن تبتسم فى وجهه عند اللقاء وأن تحسن لقاءه . فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوها . فإذا ملوها نقلها إلى غيرهم» رواه الطبرانى ، إن أى نفع تقدمه إلى إخوانك ناتج ذلك عائد إليك ، فعن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان معتكفاً فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس رضى الله عنه : يا فلان أراك مكتئباً حزيناً ؟ قال : نعم يا بن عم رسول الله ، لفلان على حق ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه ، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك ؟ قال: إن أحببت ، قال : فانتعل ابن عباس ، ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه؟ قال : لا ولكنى سمعت صاحب هذا القبر - والعهد به قريب - ودمعت عيناه - يقول . من مشى فى حاجة أخيه ، وبلغ فيها ، كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى ، جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين» رواه البيهقى ، لكل هذه الأسباب كانت دعوة الإسلام صريحة وواضحة فى التعاون بين الناس لأن ابن عباس وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم كما أنه حبر القرآن وترجمانه ، ذكر أن المشى مع أى شخص لقضاء مصلحة له خير من اعتكاف عشر سنين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أخذ هذا من نص كلام النبى العظيم سيدنا محمد الذى لا ينطق عن الهوى كما أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد - يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم» رواه الطبرانى.

- كما روى ابن أبى الدنيا أن الرجل إذا أدخل قبره أتاه ملك . والإنسان وحيد خائف، فيقول له الملك : ألا تعرفنى ؟ فيقول الإنسان لهذا الملك : من أنت ؟ فيقول أنا السرور الذى أدخلته على فلان فى يوم كذا فى موضوع كذا وقد جئت إليه اليوم لأونس وحشتك ، وألقنك حجتك ، وأثبتك بالقول الثابت ، وأشهدك مشاهد يوم القيامة ، وأشفع لك إلى ربك ، وأريك

منزلك من الجنة ، لكل هذه المعانى كان للعمل التطوعي قيمة عظيمة وأثر طيب ، ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل جاءه يسأله . أى الناس أحب إلى الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، تكشف عنه كربه ، أو تقضى عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعا» . ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحب من أن أعتكف فى هذا المسجد ، يعنى مسجد المدينة ، شهراً ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله فيه يوم القيامة رضى ، ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له ، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام رواه الاصبهانى.

خـــاتمـة

إذا كانت هذه المعانى غابت عند الناس فأول درجات العطاء أن نذكر الناس بها وأن نعيدها فى نفوس الناس جميعاً ليتم التراحم والمودة والألفة ، وعلينا أن نذكر الناس بمبدأ التعاون والعطاء ليكون الانسجام الاجتماعي والتوافق بين بنى البشر ، إن أمتنا اليوم فى حاجة إلى التواصل والتراحم ، لأنها خير أمة أخرجت للناس ، بقيمها الإيمانية ، وتعاونها على البر والصلة ، وتفاعلها مع الأحداث البيئية والدولية والعالمية ، والمسلم لابد أن يكون عنده أمل فى غد مشرق ، عنده ثقة فى الله ، ثقة فى نفسه ، يعمل دائماً على صياغة عقله ، ليلتزم بالثوابت من أمور دينه ، ويمشى بين الناس ويتعامل معهم بخلق السماء وهو لا يفرط أبداً فى أداء العبادات ولا يهمل فى سنن نبى الهدى والرشاد ، ولا يجلس مع الذين يخوضون فى آيات الله بغير علم ، إلا ليعلمهم برفق وحلم وسعة صدر .

إن عمر الإنسان لا يقاس بعدد السنين أو بما تحدده شهادة الميلاد ، وإنما عمر الإنسان تحدده مشاعره وأحاسيسه وقدرته على مواجهة الحياة ، لذلك عليك أن تعيش حياتك بالطول والعرض ، فطول حياتك عملك ، قوة قلبك ، سعة أفقك ، أمل يملأ عليك أقطار نفسك ، على وجهك ابتسامة الرضا فإن تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، والرضى بما قسمه الله لك ، تحصيلك العلم من المهد إلى اللحد ، وأما عرض عمرك، فهو حسن اختيارك لأصدقائك ، حرصك على الزمن وعدم التفريط فى دقيقة واحدة وشعار ترفعه «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد - الواجبات أكثر من الأوقات ، فاحرص على الزمن - مع سلامة صدرك للناس جميعاً ، إن الزمن هو رصيد حياتك فى بنك القدر وكل يوم يذهب لا يعود عليك أبداً وما من يوم ينشق فجره إلا ومناد ينادى من قبل المشرق ، يا ابن آدم ، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد ، فاغتنمنى وتزود منى بعمل صالح ، فإنى لا أعود عليك إلى يوم القيامة، أد واجبك بدقة ولا تهمل، أتقن صنعتك، ابتكر فى أساليب الأداء، كن منضبطاً فى مواعيدك ، فإن خلق الميعاد علامة على النفاق ، وصاحبه فى الدرك الأسفل من النار والعيشة النكد ، لا تكذب فإن الكذب هو الآخر علامة على النفاق ، وقد قال الله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (طه١٢٤ :١٢٦).

إن كل مسلم مطالب أن يتمسك بالأخلاق العالية ، كالأمانة ، والصدق ، والمروءة ، وأن

يساعد غيره وأن يكون باراً بأهله ، إن الذى يسهم بوقته ليعطى غيره أى خدمة لابد أن يكون على خلق من التراحم والتعاطف ، والتعايش السلمى مع كل الكائنات ومع البشر فى سلام ومحبة وتبادل الاحترام ، مع المواساة لمن نزلت به ضائقة ، إن الشخص الذى يرجو رحمة به - ويخشى غضبه وعذابه ويطلب خلاص نفسه ، ونجاة روحه ، والفوز برحمة الله وعفوه ، هو الذى يعبد ربه كأنه يراه ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره ، ويعرف لكل ذى حق حقه ، لا يتعامل مع المخدرات والمسكرات ، ولا يلعب القمار ، ولا يشارك فى لغو الكلام ، وينظر فى عيوب نفسه قبل أن ينظر فى عيوب الآخرين ، إن العبودية لله عز للنفوس ، وطب للقلوب ، وسعادة فى الدنيا ، وفلاح فى الآخرة . فطوبى لمن ذاق طعم الإيمان الصحيح ، وحلاوة اليقين ، فنور الله بصيرته فصغرت الدنيا فى عينه وأصبح بينه وبين الله حبل موصول ، فقدم خير ما عنده إلى أمته ومجتمعه ، وهتف من أعماق قلبه : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً) (النساء:١٢٤)،: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً) (طه:١١٢)، اللهم اجعلنا منهم برحمتك وفضلك يا أرحم الراحمين . ليكن لك فى كل أسبوع ساعة تتطوع فيها للعمل الاجتماعي الخيرى من خلال جمعية أو مؤسسة . المهم ، أن تضع نصب عينيك التطوع شرف لك وفخر ، وأن تعطى خير ما عندك إلى من يرغب .

منصور الرفاعي عبيد